الوارث

٢٥

محرم ١٤٣٢ هـ كانون الأول ٢٠١٠م
نشرة شهرية تعنى بمباحث العلوم الشرعية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

٢ قطوف دانية من السيرة الحسينية
أخذ معاوية البيعة ليزيد

٤ شبهات حول القرآن
أسلوب القسم المكي يتميز بقصر السور والآيات

٦ على ضفاف نهج البلاغة
المغيبات في نهج البلاغة

٨ مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية
الصحبة والصداقة على وفق توصيات
أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم

١٠ أخلاقك هويتك
أجناس الرذائل وأنواعها

١٢ مباحث عقائدية
دلالة إعجاز القرآن الكريم على نبوة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم
والفرق ما بينه وبين الكتب السماوية الأخرى

١٤ أعلام الشيعة
القاضي الشيخ سعد الدين بن البراج

١٦ معاجز أهل ابيت عليهم السلام وكراماتهم
إحياء أمير المؤمنين عليه السلام لسام ولدالنبي نوح عليه السلام

١٧ من كان همه الأخرة كفاه الله هم الدنيا والأخرة
من كان همه الآخرة

١٨ شؤون الأسرة
الكذب عن الطفل - السرقة عند الطفل

٢٠ معارف عامة
الاشعة السينية - الإلكترون

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني
محمد رزاق صالح

التصميم والإخراج الفني
احمد محسن المؤذن
السيد علي ماميثة

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١ :٢٠٠٩

الأمانة العامة
المقدسة

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

مسؤوليتنا تجاه ثورة الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء

هاهي أيام محرم الحرام قد أقبلت لتعلن تجدد موسم الحزن والألم والمصيبة ، والفاجعة التي أدمت وأبكت أهل السموات والأرضين..وها هي ذكرى أخرى من ذكرياته قد أقبلت تستدر الدموع من الأعماق، وتعتصر القلوب حزنا على الشهيد المقتولِ بأرض كربلاء... الشهيد الذي رأى دينا لا يستقيم إلاّ ببذل مهجته ودمه الطاهرِ، ورأى أُمّة أشدّ ما تكون احتياجاً للإصلاح... فتحرك ركبه من مدينة جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم متوجهاً إلى مكّة ومنها إلى كربلاء، كربلاء التي استقبلت أقدامه الكريمة، واستقر فيها دمه ودماء أهل بيته المظلومين فأصبحت قبلة تهش إليها الأرواح وتهوي إليها القلوب.

والإمام الحسين عليه السلام ضمن بدمه بقاء الإسلام واستمرار أحكامه، فلولاه ولولا دمه ودماء أهل بيته وأصحابه عليه وعليهم السلام لما بقي اليوم على وجه البسيطة مسلم يقول «لا اله إلا الله»، وعليه فللإمام الحسين عليه السلام وليوم عاشوراء حق في رقبة كل مسلم، وكل واحد منا نحن العارفين بحق سيد الشهداء توجد في رقبته مسؤولية تجاه سيد الشهداء وتجاه ثورته العظيمة، ونستطيع ان نلخص بعض هذه المسؤوليات فيما يلي:

١ : إحياء شعائر يوم عاشوراء بكل ما للشعائر من معنى ومفهوم ومصداق، لان المشاركة في استمرارية الثورة وإحيائها دائما فيه إحياء للدين، فحياة عاشوراء حياة الدين.

٢ : إيصال صوت الإمام الحسين عليه السلام وصوت ثورته ومبادئها وأهدافها وانجازاتها إلى العالم أجمع بشتى الوسائل ومختلف الطرق الممكنة.

٣ : إقامة المجالس الحسينية على وجه الخصوص، ومن لا يستطع إقامتها في الحسينيات والمحافل العامة فليقمها في بيته وسيرى بركاتها وآثارها واضحة بينة.

٤ : مشاركة الإمام الحسين عليه السلام بالأموال، عن طريق إنفاقها على مجالسه وشعائره، وطباعة الكتب، وإقامة برامج القنوات الفضائية الدينية، وغير ذلك من الطرق التي لها ارتباط بيوم عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام لينال المؤمن الخير الوفير والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

٥ : والاهم من ذلك كله الالتزام بتكاليف الشرع المقدس من الصلاة والعفة ومراعاة الحجاب بالنسبة للنساء وان يخلصوا نواياهم ويراعي بعضهم بعضا ويشعروا قلوبهم الرحمة والشفقة لجميع الموالين لتنزل عليهم بركات الله سبحانه ويرحمهم لان الله يرحم الرحماء ويتقبل من الأتقياء المخلصين.

أخذ معاوية

وكان في خلد معاوية يوم استقرت له الملوكية وتم له الملك العضوض أن يتخذ ابنه ولي عهده ويأخذ له البيعة، ويؤسس حكومة أموية مستقرة في أبناء بيته، فلم يزل يروض لبيعته سبع سنين، يعطي الأقارب، ويداني الأباعد، وكان يبتلعه طورا، ويجتر به حينا بعد حين، يمهد بذلك السبيل، ويسهل حزونته، ولما مات زياد سنة ثلاث وخمسين. وكان يكره تلك البيعة. أظهر معاوية عهدا مفتعلا. على زياد. فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده، وأراد بذلك أن يسهل بيعة يزيد كما قاله المدائني.

وقال أبو عمر: كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن عليه السلام وعرض بها، ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن عليه السلام.

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان ابن الحكم: إني قد كبرت سنّي، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك، فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون عليك.

فقام مروان في الناس فأخبرهم به، فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد فقام مروان فيهم وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله! يا مروان! وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: ((وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ))[1].

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب، وقالت: يا مروان، يا مروان!

فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه، فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن: إنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله! ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله.

وقام الحسين بن علي عليهما السلام فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير، فكتب مروان بذلك إلى معاوية.

ولما عزل معاوية مروان لمخالفته استخلاف يزيد واستخلف على المدينة سعيد بن العاص كتب إليه يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ويكتب إليه بمن سارع ممن لم يسارع، فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأظهر الغلظة، وأخذهم بالعزم والشدة، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك، فأبطأ الناس عنها إلا اليسير، لا سيما بني هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد، وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكارا لذلك وردا له، فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية:

أما بعد، فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء، لا سيما أهل البيت من بني هاشم، فإنه لم يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله ابن الزبير، ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك، والسلام.

فكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس، وإلى عبد الله بن الزبير، وإلى عبد الله بن جعفر، والحسين بن علي عليهما السلام كتبا، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ويبعث بجواباتها. وإليك نص ما كتب معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام:

أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وأن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتق الله، ولا تردن هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد صلى الله عليه وآله، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون.

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

«أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها، وإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الجمع، وكذب الغاوون المارقون، ما أردت حربا ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم.

ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟!

فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة جرأة على الله، واستخفافا بعهده.

أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت وأبلت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال.

أو لست المدعي زيادا في الاسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله: أن الولد للفراش، وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم على جذوع

البيعة ليزيد

النخل؟

سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي كرم الله وجهه، ودين علي هو دين ابن عمه صلى الله عليه وآله الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين، رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم، وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمة في فتنة.

وإني لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها.

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد.

وإني والله! ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنه قربة إلى ربي، وإن لم أفعله فأستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى.

وقلت فيما قلت: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية! فيما بدا لك، فلعمري لقديما يكاد الصالحون، وإني لأرجو أن لا تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، فكدني ما بدا لك، واتق الله يا معاوية! واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيا يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا قد أوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام».

وفي رواية أخرى: فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب إليه:

«أما بعد فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا لغيرها عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يرد إليها إلا الله.

وأما ما ذكرت أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حربا ولا عليك خلافا، وأيم الله! إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضيا بترك ذلك، ولا عاذرا بدون الإعذار فيه إليك، وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الايمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه، بعد ما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه، ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأة على ربك، واستخفافا بذلك العهد.

أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله تعمدا، وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك.

أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا على دين علي عليه السلام فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام سر الله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين.

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة وأن تردهم إلى فتنة. وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وعلينا أفضل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني أستغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: إني إن أنكرتك تنكرني، وإن أكدك تكدني، فكدني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك في، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، على أنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية! بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتابا.

((لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا))[2].

وليس الله بناس لأخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونقل أوليائه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغششت رعيتك، وأخربت أمانتك، وسمعت مقالة السفيه الجاهل، وأخفت الورع التقي لأجلهم والسلام»[3].

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣١٠ - ٣١٦.

أسلوب ال
يمتاز بقد

إن من الملاحظ قصر السور والآيات في القسم المكي على عكس القسم المدني الذي جاء بشيء من التفصيل والإسهاب، فنحن نجد أن السور المكية جاءت قصيرة ومعروضة بشكل موجز في الوقت الذي نجد في القسم المدني سورة البقرة وآل عمران والنساء وغيرها من السور الطوال.

وهذا يدلّ على انقطاع الصلة بين القسم المكي والقسم المدني وتأثرهما بالبيئة التي كان يعيشها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإن مجتمع مكة لما كان مجتمعاً أمياً، لم يكن النبي بقدرته التبسط في شرح المفاهيم وتفصيلها، وإنما واتته القدرة على ذلك عندما أخذ يعيش مجتمع المثقفين المتحضر في يثرب.

وتناقش هذه الشبهة بالأمرين التاليين:

الأول: إن القصر والإيجاز ليسا مختصين بالقسم المكي، بل يوجد في القسم المدني سورٌ قصيرة أيضاً كالنصر والزلزلة والبينة وغيرها، كما أن الطول والتفصيل ليسا مختصين بالقسم المدني، بل توجد في المكي أيضاً سورٌ طويلة كالأنعام والأعراف.

وقد يقصد من اختصاص المكي بالقصر والإيجاز أن هذا الشيء هو الغالب الشائع فيه.

وقد يكون هذا صحيحاً، ولكنه لا يدلّ بوجه من الوجوه على انقطاع الصلة بين القسمين المذكورين من القرآن الكريم، لأنه يكفي في تحقيق هذه الصلة أن يأتي القرآن الكريم ببعض السور الطويلة المفصّلة في القسم المكي كدليل على القدرة والتمكن من الارتفاع إلى مستوى التفصيل في المفاهيم والموضوعات.

فضلاً عن أن من الملاحظ وجود آيات مكية قد أثبتت في السور المدنية، وبالعكس، وفي كل من الحالتين نجد التلاحم والانسجام في السورة، وكأنها نزلت مرة واحدة الأمر الذي يدلّ بوضوح على وجود الصلة التامة بين القسمين.

الثاني: إن الدراسات اللغوية التي قام بها العلماء المسلمون وغيرهم، دلّت على أن الإيجاز يعدّ مظهراً من مظاهر القدرة الخارقة على التعبير، وهو بالتالي من مظاهر الإعجاز القرآني، وليس نقصاً أو عيباً في القسم المكي، خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن القرآن قد تحدى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله، حيث يكون التحدي بالسورة القصيرة أروع وأبلغ منه حين يكون بسورة مفصلة.

لم يتناول القسم المكي في مادته التشريع والأحكام

إن القسم المكي لم يتناول فيما تناول من موضوعات جانب التشريع من أحكام وأنظمة، بينما تناول القسم المدني هذا الجانب من التفصيل، وهذا يعبر عن جانب آخر من التأثر بالبيئة والظروف الاجتماعية، حيث لم يكن مجتمع مكة مجتمعاً متحضراً، ولم يكن قد انفتح على معارف أهل الكتاب وتشريعاتهم، على خلاف مجتمع المدينة الذي تأثر إلى حد بعيد بالثقافة والمعرفة للأديان السماوية كاليهودية والنصرانية.

وتناقش هذه الشبهة بالأمرين التاليين أيضا:

أولا: إن القسم المكي لم يهمل جانب التشريع وإنما تناول أصوله العامة وجملة مقاصد الدين كما جاء في قوله تعالى:

((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))

كما طرحت من خلاله مجمل النظريات والتصورات القرآنية حول الكون والحياة والمجتمع والإنسان...

إضافة إلى أننا نجد في القسم المكي وفي سورة الأنعام بالخصوص مناقشة لكثير من تشريعات أهل الكتاب والتزاماتهم، وهذا يدل على معرفة القرآن الكريم بهذه التشريعات وغيرها مسبقاً.

وثانياً: إن هذه الظاهرة يمكن أن نطرح في تفسيرها نظرية أخرى تنسجم مع الأساس الموضوعي لوجود الظاهرة القرآنية نفسها، وهذه النظرية هو أن يقال: إن الحديث عن تفاصيل التشريع في مكة كان شيئاً سابقاً لأوانه حيث لم يستلم الإسلام حينذاك زمام الحكم بعد، بينما الأمر في

القسم المكي
صر السور والآيات

المدينة على العكس، فلم يتناول القسم المكي تفاصيل التشريع، لأن ذلك لا يتفق مع المرحلة التي تمر بها الدعوة، وإنما تناول الجوانب الأخرى التي تنسجم مع الموقف العام كما سوف نشرح ذلك قريباً.

لم يتناول القسم المكي في مادته الأدلة والبراهين

إن القسم المكي لم يتناول أيضاً الأدلة والبراهين على العقيدة وأصولها، على خلاف القسم المدني، وهذا تعبير آخر أيضاً عن تأثر القرآن بالظروف الاجتماعية والبيئية، إذ عجزت الظاهرة القرآنية بنظر هؤلاء عن تناول هذا الجانب الذي يدلّ على عمق النظر في الحقائق الكونية عندما كان يعيش محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، مجتمع الأميين بينما ارتفع مستوى القرآن في هذا الجانب عندما أخذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعيش إلى جانب أهل الكتاب في المدينة، وذلك نتيجة لتأثره بهم، لأنهم أصحاب فكر وفلسفة ومعرفة بالديانات السماوية ولتطور الظاهرة القرآنية نفسها أيضاً.

وتناقش هذه الشبهة من وجهين:

الأول: إن القسم المكي لم يخل من الأدلة والبراهين بل تناولها في كثير من سوره، والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة وفي شتى المجالات.

فمن نماذج الاستدلال وموارده على التوحيد، قوله تعالى:

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ))

وقوله تعالى:

((مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ))

وقوله تعالى:

((لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ))

وبصدد الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وارتباط ما جاء به من السماء:

((وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))

وبصدد الاستدلال على البعث والجزاء قوله تعالى:

((وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ))

وقوله:

((أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ))

وقوله تعالى:

((أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))

وهكذا تتناول الأدلة جوانب أخرى من العقيدة الإسلامية والمفاهيم العامة:

بل إن القرآن الكريم تناول أكثر قصص الأنبياء والمناقشات والأدلة التي دارت بينهم وبين أقوامهم في القسم المكي من القرآن على ما سوف نعرف.

الثاني: إنه لو تنازلنا عن ذلك، فمن الممكن تفسير هذا الفرق على أساس مراعاة طبيعة موقف المواجهة من الدعوة، حيث كانت الدعوة في مكة تواجه مشركي العرب وعبدة الأصنام، والأدلّة التي كان يواجه القرآن بها هؤلاء، أدلّة وجدانية من الممكن أن تستوعبها مداركهم ويقتضيها وضوح بطلان العقيدة الوثنية، والقرآن - كما عرفنا - إنما هو كتاب هداية وتغيير وتزكية وليس كتابا علميا، فهو كان يواكب تطور الدعوة الإسلامية ومسيرتها في آياته ونزوله، وحين اختلفت طبيعة الموقف وأصبحت الأفكار المواجهة تمتاز بكثير من التعقيد والتزييف والانحراف، كما هو الحال في عقائد أهل الكتاب - اقتضى الموقف مواجهتها بأسلوب آخر من البرهان والدليل أكثر تعقيداً وتفصيلاً.

المغيبات في نهج البلاغة

قـد دلت الأبحاث الحديثة على أن كل إنسان يملك مقداراً من هذه القوة الخارقة التي تكشـف لـه عما انطوت عليه أحشـاء المسـتقبل، ولكـن الناس إذا تسـاووا في نوع هذه القوة فإنهم يختلفون في مقدارها.

وقد تبين للباحثين أن قوة هذه الحاسـة تتناسـب تناسـباً طردياً مع درجـة الصفاء الروحـي والنقـاء الداخلـي الـتي يتمتـع بها الشـخص، فكلمـا كان الإنسـان صافي النفـس، نقـي الضمـير، منعتقـاً من أسـر التقاليد الإجتماعية الضارة، متلفتاً من قيد الضرورة وما إليها، خالي النفس من العقد والأحقـاد والمطامـع، كانـت هذه الحاسـة فيـه قوية بالغـة القوة، وكلما كان الإنسـان مشـوش النفسِ موزع الضمير مستغرقاً في حواسه، أسيراً لضرورات جسده وشهواته، غارقاً في مجتمعه، كانت هذه الحاسـة فيه ضامرة لا تكاد تبين.

وقـد بلغ الإمـام أمير المؤمنـين علي بن أبي طالب عليه السلام من الصفاء الروحي حداً لم يدانه فيه إنسـان على الإطلاق ولم يزد عليه فيه إلا النبي صلى الله عليه وآله وسـلم، وتاريخ حياته عليه السـلام سلسلة ذهبية من هذه الظواهر الرائعة الفاتنة. وإن كثرة ما اخبر به عليه السـلام من المغيبات لتـدل على أنه كان في وسـعه أن يطلق قواه الخارقة متى ما أراد، وأن يعي ما غاب عنه في أحشاء الزمان وطوايا المكان متى شاء.

وقد ذكر الشريف الرضي رحمه الله في أثنـاء جمعه لنهج البلاغة عدة من المغيبات التي اخبر أمير المؤمنين بوقوعها وقد وقعت فعلا، ويمكن لنا تقسـيم هذه المغيبات على اقسـام هي: (غرق البصرة، تسلط الظالمين علـى الكوفـة، تغلب معاوية علـى الخلافة، مصـير الخـوارج ونهايـة أمرهـم، مـروان وخلافتـه، حـرب الزنـج، ولايـة الحجـاج، الأتـراك، بنو أمية: ظلمهم ونهايتهم، خروج المهدي عجل الله فرجه، فتن تشـمل الدنيا وتهلك الحرث والنسـل) ففي هذه العناوين ينحصـر ما ذكره الشـريف في نهج البلاغة من الأخبار بالمغيبات.

هـذا وقـد تحـدث الإمام عليه السـلام عـن علمـه بالمغيبـات في مناسـبات كثـيرة منها قوله: «فاسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائـة إلا أنبأتكم بناعقها، وقائدها، وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها ،ومن يقتـل من أهلها قتلاً ومن يموت منهم موتاً، ولـو قـد فقدتمونـي، ونزلـت بكـم كرائـه الأمور وحـوازب الخطوب، لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين».

وقد ذكر عليه السـلام أنه استقى علمه هـذا من رسـول الله صلـى الله عليـه وآله وسلم، وقـد جـاء في كلام له بعـد أن هزم أصحاب الجمل في البصرة، على ذكر بعض مـا يلـم بالبصرة من الخطـوب، فذكر فتنة الزنج وذكـر التتر ، فقال له بعض أصحابه: لقـد أعطيـت يا أمير المؤمنـين علم الغيب، فضحـك الإمام وقال للرجل:«ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم السـاعة وما عدد الله سـبحانه بقولـه: ((إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ))فهـذا علـم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سـوى ذلك فعلـم علمه الله لنبيـه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي».

وقـال مخاطبـاً أصحابـه في موقـف آخـر: «والله لـو شـئت أن أخـبر كل رجل منكـم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلـت، ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله صلـى الله عليـه وآله وسـلم، ألا وإني مفضيه إلـى الخاصة ممن مؤمن ذلك منه. والـذي بعثـه بالحـق واصطفاه على الخلق مـا أنطق إلا صادقاً، وقد عهـد إلي بذلك كله، ومن يهلك ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمـر، وما أبقى شـيئاً يمر على رأسـي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إلي».

وقال:«أيها الناس لا يجرمنكم شـقاقي، ولا يسـتهوينكم عصيانـي، ولا تترامـوا بالأبصـار عندما تسـمعونه مـني، فو الذي فلـق الحبة وبرأ النسـمة، إن الـذي أنبئكم به عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم، ما كذب المبلغ ولا جهل السامع».

وفي هـذه النصوص يصـرح الأمام عليه السـلام بـأن علمـه بالمغيبـات عـن طريـق رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو عليه السـلام يقول:«فو الذي نفسي بيده لا تسـألني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عـن فئـة تهـدي مائـة وتضـل مائـة إلا أنبأتكـم بناعقهـا». ويقول:«سـلوني قبل أن تفقدونـي، فلأنـا بطرق السـماء أعلم مني بطرق الأرض»، ويقول: «والله لو شئت أن

أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت .. وقد عهد إلي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني وأفضى به إلي».

إشكال وجواب

ولعل مستشكل يقول: كيف نستطيع ان نتصور أن النبي قد أفضى إلى الإمام بكل حادثة من الحوادث المقبلة على نحو التفصيل، لأن الظرف الزماني الذي جمع بين النبي والإمام لا يسع شيئاً مثل هذا النحو لو فرضنا أن الإمام قد أختص بأوقات النبي كلها ،فالإخبار لكل رجل بمخرجه ومولجه وجميع شأنه وغير ذلك، علم واسع بالغ السعة متراحب الآفاق، ومهما يكن الظرف الزماني الذي قضاه الإمام صلوات الله وسلامه عليه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً، ومهما تكن الأوقات الخاصة التي يفرغ فيها النبي للإمام وحده طويلة وكثيرة، فإن ذلك كله لا يسع الإفضاء ببعض هذا العلم إلى الإمام على نحو التفصيل، بحيث يتناول التعليم الجزئيات الدقيقة، والتفصيلات الكثير، فضلاً عن أن يسع الإفضاء إليه بكل هذا العلم على هذا النحو من الإفضاء.

والجواب على هذا الإشكال هو ان طاقات البشر وإمكانات استيعابهم تختلف من فرد إلى فرد آخر، والإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بوصفه إماما معصوما يتمتع بأعلى مستويات الاستيعاب، فالله سبحانه أعطاه القدرة والقابلية على استيعاب ما لا يحصيه إلا الله سبحانه من العلم، وليس من الضروري أن يعلمه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كل جزء من جزئيات الكون، بل يكفي أن يعلمه أصول هذه العلوم، وجذور تلك المعلومات، ثم يعلمه بتعليم من الله سبحانه كيف يصل عن طريق هذه الأصول إلى فروع اصغر واصغر، ومعلومات أكثر جزئية، ولهذا القول شاهد مشهور قاله الإمام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه حينما أوضح نوع العلم الذي كان يتلقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «علمني ألف باب ينفتح لي من كل باب ألف باب»، بالإضافة إلى إمكاناته الذاتية كإمام له القدرة على الاطلاع على الغيب بواسطة الملائكة أو النور الذي بينه وبين اللوح المحفوظ، وغير ذلك من الوسائل التي تحدثت عنها الروايات الشريفة.

بعض المغيبات التي جاء ذكرها في نهج البلاغة

١: إخباره عليه السلام بغرق مدينة البصرة

أخبر الإمام عليه السلام بعد فراغه من أصحاب الجمل، عن غرق البصرة كلها بقوله: «وأيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة».

وقد صدقت الحوادث هذه النبوءة، فقد ذكر ابن أبي الحديد أن البصرة غرقت مرتين: مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين.. وخربت دورها وغرق كل ما في ضمنها وهلك كثير من أهلها. وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم».

٢: إخباره عن هلاك البصرة بجيش الزنج

وأخبر عليه السلام أيضا عن هلاك البصرة بالزنج، فقال مخاطباً الأحنف بن قيس بعد حرب الجمل: «يا أحنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون به غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل، يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام. ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفتقد غائبهم أنا كاب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها».

وهذه النبوءة صدقتها الحوادث، ففي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر المدعو علي بن محمد بن عبد الرحيم وجمع الزنوج وخرج بهم على المهتدي العباسي، واستشرى أمره، وكاد يبيد البصرة ويفني أهلها، واستمرت الحرب بينه وبين السلطة المركزية خمسة عشر عاماً، فقد قتل في سنة سبعين ومائتين، وقد كتب ابن أبي الحديد فصلاً كبيراً عن هذه النبوءة.

ولا يفوتنا التنبيه على تنبئه عليه السلام، في النص الآنف، بما ستكون عليه حال البصرة من الناحية العمرانية.

٣: إخباره عن هلاك البصرة على يد التتر

وأخبر عليه السلام عن هلاك البصرة على يد التتر فقال: «كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقل من المأسور».

وهذه النبوءة تحققت بظهور التتار واكتساحهم للممالك حتى وصلوا إلى العراق فلقيت البصرة منهم أعظم البلاء وأشنعه، فقد تكدست الجثث في الشوارع والأزقة وحل بالناس منهم خوف عظيم. وقد وقعت هذه الأحداث في زمن ابن أبي الحديد فكتب عنها فصلاً كبيراً.

وستأتي بقية إخباراته صلوات الله وسلامه عليه بالمغيبات في العدد القادم إن شاء الله تعالى[1].

---

(١) دراسات في نهج البلاغة للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ٢١١.

..: الصحبة والصداقة على وفق توصيات أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم

لا يمكن لأي إنسان عاقل وسوي أن يستغني عن الأصدقاء والأصحاب، لان الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي ولا دوام لحياته إلا باختلاطه ومعاشرته لباقي أفراد المجتمع، ونتيجة لهذا الاختلاط والمعاشرة مع الآخرين ولابد من تكوين روابط فيما بينه وبينهم، تارة تكون هذه الروابط عادية وعرضية تنتهي بانتهاء وقت الحاجة لها، وتارة تكون قوية متينة مستمرة طويلة الأمد وهي المسماة بالصداقة أو الصحبة.

وللصداقة والصحبة فوائد لا تحصى ولا تعد، منها نكران الذات، وتنمية قيم الإيثار والتضحية والمساعدة وغير ذلك من القيم والصفات الحميدة، ولكن ليست كل الصداقات كذلك، فكثير من الصداقات أدت بأصحابها إلى الانحراف الخلقي، والسقوط في مستنقع الفساد والجريمة والانحطاط الفكري والسلوكي، فالصحبة والصداقة بناء على ذلك سلاح ذو حدين، وعملة لها وجهان، فيمكن للإنسان أن يترقى ويتكامل ويسعد من خلالها، ويمكن كذلك أن يتسافل وينحط ويشقى بواسطتها، ولكن اختيار احد الخيارين - السعادة أو الشقاء - هو بيد الإنسان وحده، فهو الذي يختار بأي طريق يضع نفسه.

واغلب الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس في علاقاتهم وصداقاتهم ترجع الى عدم تأسيس هذه العلاقات على أساس صحيح لتؤدي بالتالي إلى نتائج صحيحة، لان البناء الذي يبنى على أساس هش وخاطئ لا بد وان يؤول إلى الانهيار والسقوط في يوم ما، أما الذي يبنى على أساس صحيح ورصين فانه يدوم طويلا ويستمر عمرا مديدا، فلابد إذن من معرفة الأسس الصحيحة والقواعد السليمة للاختيار قبل البدء بعقد أي صداقة مع أي شخص كان، وأهل البيت عليهم السلام ولحرصهم الشديد على مسألة اختيار الصديق وضعوا قواعد وأعطوا إرشادات وتوصيات لو روعيت من قبل الناس لعاشوا بسعادة ولما انحرف من المجتمع أي فرد من أفراده بسبب أصدقاء السوء ورفاق أهل الضلالة، وفيما يلي جملة من درر كلامهم التي أوضحوا فيها معالم الصداقة الناجحة ومعالم الصحبة الفاشلة التي تؤدي بصاحبها إلى النار والشقاء الدنيوي والأخروي.

١: عن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه انه قال لأحد أصحابه: (يا صالح اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش وستردون إلى اللّه جميعا فتعلمون) «راجع الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٨».

وقد علق على هذا الحديث المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج١١ ص٩٥) بقوله: (قوله «اتبع من يبكيك وهو لك ناصح» بزهادته وعبادته وتلاوته وموعظته وحسن أفعاله وزواجر أمثاله، والمراد باتباعه التزام ملازمته ومجالسته ومصاحبته واقتفاء آثاره وأطواره. «ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش» حيث يريد فساد حالك واشتغال بالك عن أمر الآخرة بذكر الهزليات ونقل المضحكات المفسدة للدين).

٢: وعن أبي عبد اللّه الباقر صلوات اللّه وسلامه عليه انه قال: (لا تكون الصداقة إلا بحدودها ، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة فأولها أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة ، والثاني أن ترى زينك زينه وشينك شينه ، والثالثة أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال ، والرابعة أن لا يمنعك شيئا تناله مقدرته ، والخامسة - وهي تجمع هذه الخصال - أن لا يسلمك عند النكبات) «الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٩».

وقد شرح المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج١١ ص٩٦) بقوله: (قوله: «لا يتحقق الصداقة إلا بحدودها» وهي أمور يتحقق ماهية الصداقة بكل واحدة منها «فمن كانت فيه هذه الحدود كلها أو شيء منها» واحد واثنان أو ثلاث أو أربع . «فانسبه إلى الصداقة وإن كانت متفاوتة في الشدة والضعف ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة» ولا تتخذه صديقا ولا يتحقق العلم بوجود تلك الحدود وعدمه في أحد إلا بمجالسة متعددة ومخالطة متكررة ومصاحبة باطنية ومعاشرة ظاهرية أو بشهادة حاله مع اشتهاره بالاتصاف بها عند المعتمدين.

«فأولها» أي أول الحدود «أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة» لعل المراد أن يكون كل قوله موافقا لضميره وإلا لكان نفاقا منافيا للصداقة إلا أن لا يكتم سرا من أسراره، إذ كتمان بعض السر من باب الحزم قد يكون مطلوبا، كما دل عليه بعض الروايات.

«والثانية: أن يرى زينك زينه وشينك شينه» فيريد ويكره لك ما يريد

ويكره لنفسه .

«والثالثة: أن لا يغيره عليك ولاية أو مال» بأن تكون صداقته بعد وجدان الحكومة والمال كما يكون قبله بلا تفاوت وهي نادرة.

«والرابعة: أن لا يمنعك شيئا تناله مقدرته» هي مثلثة الدال القدرة والغنا واليسار وهي أيضا نادرة. «والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات» النكبة بالفتح المصيبة وما يصيب الإنسان من الحوادث والإسلام هنا الخذلان والإلقاء إلى الهلكة يقال: أسلم فلان فلانا إذا خذله ولم ينصره أو إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه وقوله: « وهي تجمع هذه الخصال » جملة معترضة بين المبتدأ والخبر والظاهر أنه من كلام الصادق «عليه السلام» ويحتمل أن يكون من الراوي وشمولها للخصال المذكورة يظهر بأدنى تأمل).

٣: وعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي).

قال المولى محمد صالح المازندراني: (قوله: «أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي» وذلك لأن الإنسان يحب نفسه فلا يرى عيوبه فإذا أظهرها له صديقه بمقتضى الصداقة والنصيحة تركها طلبا لكماله وذلك من أجل منافع الصداقة وعظمها. وفيه حث للصديقين على إظهار كل منهما عيب صاحبه وعلى عد ذلك الإظهار عطية وهدية لا منقصة موجبة للتفارق والعدوان كما هو شأن أكثر أبناء الزمان).

٤: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: (ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة: الماجن الفاجر والأحمق والكذاب فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ويحب أنك مثله ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ومقاربته جفاء وقسوة ومدخله ومخرجه عار عليك، وأما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه. وربما أراد منفعتك فضرك فموته خير من حياته وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه، وأما الكذاب فإنه لا يهنئك معه عيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث كلما أفنى أحدوثة مطرها بأخرى مثلها حتى أنه يحدث بالصدق فما يصدق ويفرق بين الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور، فاتقوا الله عز وجل وانظروا لأنفسكم).

قال المولى محمد صالح المازندراني: (قوله: «الماجن الفاجر» مجن مجونا صلب وغلظ ومنه الماجن لمن لا يبالي قولا وفعلا كأنه صلب الوجه، والفاجر هو المنبعث في المعاصي والمحارم. «والأحمق والكذاب» الأحمق قليل العقل ضعيف الرأي، والكذاب كثير الكذب المعروف به، وهو الذي صار الكذب عادة له، يدل عليه ما رواه ابن أبي عمير عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: الكذاب هو الذي يكذب في الشيء؟ قال: «لا ما من أحد إلا أن يكون ذلك منه ولكن المطبوع على الكذب».

«ومقاربته جفاء وقسوة ومدخله ومخرجه عار عليك» الحمل في الثلاثة من باب حمل المسبب على السبب للمبالغة، ولعل وجه الجفاء أنه لما لم يبال بما قال وما فعل وشق ستر الديانة لا يحفظ حق الصداقة فيقول ويفعل ما يؤذيه ويبيعه باليسير ويهتك عرضه بالحقير ، ولذلك قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه».

«وربما أراد منفعتك فضرك» في الدين والدنيا لعدم علمه بأن كلامه حق أو باطل وفعله حسن أو قبيح فيتكلم بالباطل ويفعل القبيح لقصد المنفعة وهو يضرك ولذلك ورد النهي عن الاستشارة بالأحمق.

«كلما أفنى أحدوثة مطرها بأخرى مثلها» الأحدوثة ما يتحدث به. والمطر الإسراع «حتى أنه يحدث بالصدق فما يصدق» ولذلك تركوا العمل برواية الكذابين وهنا حكاية مناسبة وهي أن جماعة دخلوا في بيئة فانفرد واحد في ناحية فنادى السبع فاجتمعوا عليه فوجدوه كاذبا فتفلوا في وجهه ورجعوا ثم فعل وفعلوا ذلك مرتين والمرة الرابعة وهي مرتبة صدقه لم يصدقوه ولم يجتمعوا عليه فافترسه السبع.

«ويعرف بين الناس بالعداوة» يعرف بالعين المهملة والفاء وفي بعض النسخ يفرق من التفريق وفي بعضها يغري من الإغراء «فينبت السخائم في الصدور» السخيمة الحقد والضغن والغضب).

٥: وعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه، عن أبيه الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه انه قال: (قال لي أبي علي بن الحسين صلوات الله عليهما: يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، فقلت: يا أبة من هم عرفنيهم؟ قال: إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه بايعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعونا في كتاب الله عزوجل في ثلاثة مواضع قال الله عز وجل: ((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ))، وقال عز وجل: ((وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ))، وقال في البقرة: ((الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))).

وتوجد نصوص أخرى يراجعها من أراد الزيادة والتطويل.

أجناس الرذائل وأنواعها

قد ظهر مما ذكر أنه بإزاء كل فضيلة رذائل غير متناهية من طرفي الافراط والتفريط، وليس لكل منها اسم معين ولا يمكن عد الجميع وليس على صاحب الصناعة حصر مثلها، لأن وظيفته بيان الأصول والقوانين الكلية لا احصاء الاعداد الجزئية.

والقانون اللازم بيانه هو أن الانحراف عن الوسط إما إلى طرف الافراط أو إلى طرف التفريط، فيكون بإزاء كل فضيلة جنسان من الرذيلة ولما كانت أجناس الفضائل أربعة فتكون أجناس الرذائل ثمانية (اثنان) بازاء الحكمة (الجربزة والبله).

و(الأول) في طرف الافراط وهو استعمال الفكر في ما لا ينبغي أو في الزائد عما ينبغي و(الثاني) في طرف التفريط وهو تعطيل القوة الفكرية وعدم استعمالها في ما ينبغي أو في أقل منه، والأولى أن يعبر عنهما (بالسفسطة) أي الحكمة المموهة، و(الجهل) أي البسيط منه، لأن حقيقة الحكمة هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه وهو موقوف على اعتدال القوة العاقلة، فإذا حصلت له حدة خارجة عن الاعتدال يخرج عن الحد اللائق ويستخرج أموراً دقيقة غير مطابقة للواقع، والعلم بهذه الأمور هو ضد الحكمة من طرف الافراط وإذا حصلت لها بلادة لا ينتقل إلى شيء فلا يحصل لها العلم بالحقائق وهذا هو الجهل وهو ضده من طرف التفريط (واثنان) بإزاء الشجاعة (التهور والجبن): (الأول) في طرف الافراط وهو الاقدام على ما ينبغي الحذر عنه، و(الثاني) في طرف التفريط وهو الحذر عما ينبغي الاقدام عليه.

و(اثنان) بإزاء العفة وهما: (الشره والخمود) و(الأول) في طرف الافراط وهو الانهماك في اللذات الشهوية على ما لا يحسن شرعاً وعقلاً، (والثاني) في طرف سكون النفس عن طلب ما هو ضروري للبدن و(اثنان) بإزاء العدالة وهما: (الظلم والانظلام): و(الأول) في طرف الافراط وهو التصرف في حقوق الناس وأموالهم بدون حق، و(الثاني) في طرف التفريط وهو تمكين الظالم من الظلم عليه وانقياده له فيما يريده من الجبر والتعدي على سبيل المذلة، هكذا قيل.

والحق إن العدالة مع ملاحظة ما لا ينفك عنها من لازمها، لها طرف واحد يسمى جوراً وظلماً، وهو يشمل جميع ذمائم الصفات، ولا يختص بالتصرف في حقوق الناس وأموالهم بدون جهة شرعية، لأن العدالة بهذا المعنى ـ كما عرفت ـ عبارة عن ضبط العقل العملي جميع القوى تحت إشارة العقل النظري، فهو جامع للكمالات بأسرها، فالظلم الذي هو مقابله جامع للنقائص بأسرها، إذ حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو يتناول جميع ذمائم الصفات والأفعال فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفة ذميمة يكون ظلماً، على أن من مكن الظالم من الظلم عليه وانقاد له ذلة، فقد ظلم نفسه والظلم على النفس أيضاً من أقسام الظلم، هذا هو بيان الطرفين لكل من الأجناس الأربعة للفضيلة.

ثم لكل واحد من أجناس الرذائل والفضائل أنواع ولوازم من الأخلاق والأفعال ذكرها علماء الأخلاق في كتبهم، وقد ذكروا للعدالة أيضاً أنواعاً وقد عرفت فيما تقدم أن تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها مما لا وجه له، إذ جميع الرذائل والفضائل لا يخرج عن التعلق بالقوى الثلاث، أعني العاقلة والغضبية والشهوية، وإن كان للقوة العملية مدخلية في الجميع من حيث التوسط، فنحن ندخل الجميع تحت أجناس القوى الثلاث من غير اندراج شيء منها تحت العدالة، وقد عرفت أن بعضها متعلق بالعاقلة فقط، وبعضها بالقوة الغضبية فقط، وبعضها بالشهوية فقط، وبعضها بالاثنين منها أو الثلاث معاً، فنحن نذكر ذلك في مقامات أربعة.

ولمزيد من الاحاطة نشير هنا إجمالاً إلى أسماء الأجناس والأنواع واللوازم التي لكل جنس، ونذكر أولاً ما يتعلق بالعاقلة، ثم ما يتعلق بالغضبية، ثم ما يتعلق بالشهوية، ثم ما يتعلق بالثلاث أو الاثنتين منها، ونذكر أولاً الرذيلة، ثم نشير إلى ضدها من الفضيلة إن كان له اسم، ثم في باب المعالجات نذكر معالجة كل رذيلة من الأجناس والأنواع والنتائج ونذيلها بذكر ضدها في الفضيلة.

ونذكر أولاً جنسي الرذيلة لكل قوة،

ونذيلهما بضدهما الذي هو جنس فضيلتهما، ثم نذكر الأنواع والنتائج على النحو المذكور، أي نذكر أولاً الرذيلة باحكامها (ومعالجاتها)، ثم نشير إلى ضدها، وما ورد في مدحه ترغيباً للطالبين على أخذه والاجتناب عن ضده، ولذلك لم نتابع القوم في التفريق بين الرذائل والفضائل وذكر كل منهما على حدة.

ثم بيان الأنواع واللوازم على ما ذكر أكثره القوم لا يخلو عن الاختلاف إما في التعريف والتفسير، أو في الفرق والتمييز، أو في الادخال تحت ما جعلوه نوعاً له، أو غير ذلك من وجوه الاختلال، فنحن لا نتبعهم في ذلك ونبينها إدخالاً وتمييزاً وتعريفاً ما يقتضيه النظر الصحيح، فنقول:

أما جنسا الرذيلة للقوة العقلية، (فأولهما) (الجربزة والسفسطة) وهي من طرف الافراط، و(ثانيهما) (الجهل البسيط) وهو من طرف التفريط وضدهما (العلم والحكمة)، وأما الأنواع واللوازم المترتبة عليهما، فمنها (الجهل المركب) وهو من باب رداءة الكيفية، ومنها (الحيرة والشك) وهو من طرف الافراط على ما قيل، وضد الجهل المركب إدراك ما هو الحق أو زوال العلم بأنه يعلم، وضد الحيرة الجزم بأحد الطرفين.

وبذلك يظهر أن اليقين ضد لكل منهما، لأنه اعتقاد جازم مطابق للواقع، فمن حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضداً للحيرة، ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع يكون ضداً للجهل المركب، ومنشأ حصول اليقين هو استقامة الذهن وصفاؤه مع مراعاة شرائط الاستدلال، ومنشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن، أو حصول الخطأ في الاستدلال، أو وجود مانع من أفاضة الحق كعصبية، أو تقليد أو أمثال ذلك، ومنشأ الحيرة هو قصور الذهن وكدرته، أو الالتهاب الموجب للتجاوز عن المطلوب، أو عدم الاحاطة بمقدماته، ومنها (الشرك) وضده التوحيد.

ومنها (الوساوس) النفسانية والخواطر الباطلة الشيطانية، وهذا أيضاً من باب رداءة الكيفية، وكان الظاهر أن يعد ذلك من رذائل قوتي الوهم والمتخيلة دون العاقلة، إذ الغالب أنها لا تنفك من الاختلال فيهما، إلا أنك قد عرفت العذر في ذلك، وضدها الخواطر المحمودة التي من جملتها الفكر في بدائع صنع الله سبحانه وعجائب مخلوقاته ومنها (استنباط المكر والحيلة) للوصول إلى مقتضيات الشهوة والغضب، وهو من طرف الافراط.

وأما جنسا الرذائل للقوة الغضبية، فأولهما (التهور) وثانيهما (الجبن) وقد عرفت أن ضدهما من الفضيلة (الشجاعة)، وأما الأنواع واللوازم والنتائج المترتبة عليها، فمنها (الخوف) وهو هيئة نفسانية مؤذية تحدث من توقع مكروه أو زوال مرغوب، وهو مذموم إلا ما كان لأجل المعصية والخيانة، أو من الله وعظمته، والمذموم من رذائل تلك القوة ومن نتائج الجبن وضده الأمن والطمأنينة، والممدوح من فضائلها لكونه مقتضى العقل وضده الأمن من مكر الله، وهو - أي الممدوح من الخوف - يلازم الرجاء وضده اليأس.

ومنها (صغر النفس) أي ملكة العجز عن تحمل الواردات وهو من نتائج الجبن، وضده كبر النفس أي ملكة التحمل لما يرد عليه كائناً ما كان.

ومن جملة التحمل، التحمل على الخوض في الأهوال، وقوة المقاومة مع الشدائد والآلام ويسمى (بالثبات) فهو أخص من كبر النفس، وضده الاضطراب في الأهوال والشدائد، ومن جملة الثبات، الثبات في الإيمان، ومنها (دناءة الهمة) وهو القصور عن طلب معالي الأمور وهو من لوازم ضعف النفس وصغرها، وضده (علو الهمة) الذي هو من لوازم كبر النفس وشجاعتها، أي السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب الأمور العالية من دون ملاحظة منافع الدنيا ومضارها.

ومنها (عدم الغيرة والحمية) أي الاهمال في محافظة ما يلزم حفظه، وهو أيضاً من نتائج صغر النفس وضعفها وضده ظاهر، ومنها (العجلة) وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الإقدام على الأمر بأول خاطر من دون توقف فيه، وهو أيضاً من نتائج صغر النفس وضعفها، وضدها الإناءة والتأني، و(التعسف) قريب من العجلة، وضده أعني (التوقف) قريب من الاناءة، ويأتي الفرق بينهما، (والوقار) يتناول التأني والتوقف، وهو اطمئنان النفس وسكونها عند الحركات والأفعال في الابتداء (والانثناء)، وهو من لوازم كبر النفس وشجاعتها.

ومنها (سوء الظن بالله تعالى وبالمؤمنين) وهو من لوازم الجبن وضعف النفس، وربما كان من باب رداءة الكيفية، فضده أعني حسن الظن بهما من آثار الشجاعة وكبر النفس، ومنها (الغضب) وهو حركة نفسانية يوجب حركة الروح من الداخل إلى الخارج للغلبة وهو من باب الافراط، وضده الحلم.

ومنها (الانتقام) وهو من نتائج الغضب، وضده العفو، ومنها (العنف) وهو أيضاً من نتائج الغضب، وضده الرفق، ومنها (سوء الخلق) بالمعنى الأخص وهو أيضاً من نتائجه، وضده (حسن الخلق) بالمعنى الأخص، ومنها (الحقد) وهو العداوة الكامنة أي إرادة الشر وقصد زوال الخير من المسلم، وهو أيضاً من ثمرات الغضب ومنها (العداوة) الظاهرة، وضدها (النصيحة) أي إرادة الخير والصلاح ودفع الشر والفساد عن كل مسلم.

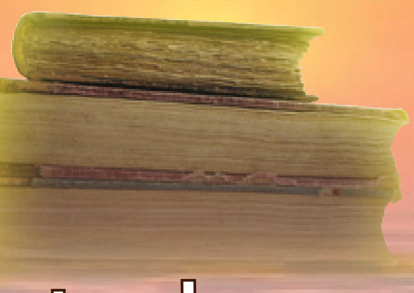

دلالة إعجاز القرآن الكريم على نب
والفرق ما بينه وبين ال

خاطب الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قائلا له: ((قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا)) وفي هذا الخطاب الكريم عدة لفتات مهمة نلخصها على شكل نقاط:

١: دعت هذه الآية المباركة العالمين جميعهم، صغارا وكبارا، عربا وغير عرب، الإنسان أو أي كائن عاقل آخر، العلماء والفلاسفة والأدباء والمؤرخين والنوابغ وغيرهم... دعتهم جميعا لهذا التحدي الكبير، وقالت لهم: إذا كنتم تظنون أن هذا الكلام ليس من الخالق وأنه من صنع الإنسان، فأنتم أيضا بشر، فأتوا إذا بمثله، وإذا لم تستطيعوا ذلك بأجمعكم، فهذا العجز أفضل دليل على إعجاز القرآن.

٢: خلود دعوة التحدي السابقة واستمرارها، إذ هي غير مقيدة بزمان، وعلى هذا الأساس فإن هذا التحدي اليوم جار مثلما كان في أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسيبقى كذلك إلى يوم القيامة.

٣: استخدام كلمة ((ٱجۡتَمَعَتِ)) إشارة لأشكال التعاون والتعاضد والتساند الفكري والعملي، الذي يضاعف حتما من نتائج أعمال الأفراد مئات، بل آلاف المرات، وكذلك تعبير ((وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا)) تأكيد مجدد على قضية التعاون والتعاضد، وهي أيضا إشارة ضمنية إلى قيمة هذا العمل وتأثيره على صعيد تحقق الأهداف وتنجزها.

٤: إن تعبير((بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ)) دلالة على الشمول والعموم، وهو يعني (المثل) في جميع النواحي والأمور، من حيث الفصاحة والبلاغة والمحتوى، ومن حيث تربية الإنسان، والبحوث العلمية والقوانين الاجتماعية، وعرض التأريخ، والتنبؤات الغيبية المرتبطة بالمستقبل.. إلى آخر ما في القرآن من أمور.

٥: إن دعوة جميع الناس للتحدي دليل على أن الإعجاز لا ينحصر في ألفاظ القرآن وفصاحته وبلاغته وحسب، وإلا لو كان كذلك، لكانت دعوة غير العرب عديمة الفائدة.

٦: المعجزة تكون قوية عندما يقوم صاحب المعجزة بإثارة وتحدي أعدائه ومخالفيه، وبتعبيرنا تقول: يستفزهم، ثم تظهر عظمة الإعجاز عندما يظهر عجز أولئك وفشلهم. وفي الآية التي نبحثها يتجلى هذا الأمر واضحا، فمن جانب دعت جميع الناس، ومن جانب آخر تستفزهم بصراحة في قولها لا يأتون بمثله ثم تحرضهم وتدفعهم للتحدي بالقول ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

٧: ان هذا التحدي يثبت وبوضوح ان القرآن الكريم موصوف بأنه (معجزة) لان الجميع عجز عن الإتيان بمثله أو ببعضه، ومنه نصل إلى صحة نبوة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، لأننا قد ذكرنا فيما سبق ان منصب النبوة يثبت بثلاث مقدمات هي ادعاء النبي لدعوى النبوة، وإتيانه بالمعجزة ومطابقة هذه المعجزة لدعواه، وهذه المقدمات الثلاث متحققة في نبوة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو قد ادعى النبوة، وجاء بالمعجزة وهي القرآن وغيره من المعاجز، وقد تطابقت دعوته مع معجزته، لان القرآن الكريم مشحون بالآيات الدالة والمؤيدة والمصدقة لنبوة نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الفرق ما بين القرآن وكتاب التوراة والإنجيل المحرفة

إن عظمة ما قدمه القرآن من الهداية في المعارف الإلهية، تتجلى بمقارنتها مع ما يقابلها في العهد العتيق والجديد من الآيات التي ما زال يعتقد بها مئات ملايين البشر إلى اليوم من اليهود والنصارى، وبنيت على الإيمان بها كل كنيس وكنيسة. ونكتفي فيما يلي ببعض النماذج:

١: نظرة التوراة إلى صفات الله ووحدانيته

ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين: (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا).

وجاء أيضا في التوراة وهي تتحدث عن

وة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم
كتب السماوية الأخرى

آدم وحواء في الجنة: (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت).

وجاء فيها أيضا وهي تتحدث عن ندم الله سبحانه عن خلق الإنسان وتمنيه لعدم خلقه: (فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ونباتات وطيور السماء. لأني حزنت أني عملتهم).

فصورت التوراة الذات الإلهية المقدسة يعمل فيتعب فيأخذ يوما ليستريح فيه، ويتمشى في الجنة ويختبئ منه آدم وزوجته خلف أوراق الأشجار، ولا يعلم بمكان وجودهما حتى يصيح عليهما ليعلم مكانهما، ويحزن بسبب خلقه للإنسان ويتندم على ذلك، وجعلوا له قلباً يتأسف ويحزن، وكل هذا باطل لاستلزامه الجهل وعدم العلم ولاستلزامه للتجسيم والحاجة وغير ذلك من المسائل التي لا تليق بذاته تعالى والتي أثبتنا بطلانها في مباحث التوحيد التي مرت في أعداد سابقة من هذه المجلة.

٢: نظرة الإنجيل إلى نبي الله عيسى وانه هو الله

جاء في رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الخامس: (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله. وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضا. بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه... لأن كل من ولد من الله يغلب العالم...من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله...فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الأب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد).

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله...وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله. والكلمة صار جسدا وحل بيننا، ورأينا مجده مجدا، كما الوحيد من الأب مملوء نعمة وحقا).

فهذه النصوص تعكس لنا العقيدة النصرانية في مسألة توحيد الله سبحانه، فهم وكما هو واضح يعتقدون بما يسمونه الثالوث المقدس وهم موجودات ثلاثة أطلقوا عليها اسم الأب والكلمة والروح القدس، والفكرة الجوهرية للخالق تتمحور في ان هؤلاء الثلاثة هم في حقيقتهم موجود واحد، ومع كونهم موجوداً واحداً فهم ثلاثة، وهو تناقض لم يستطع النصارى إلى الآن الخروج منه وتفسيره بتفسير معقول.

فضلاً عن أن فكرة التثليث تستلزم التجسيم والحاجة والتركيب وانه تعالى يولد وينزل ويصعد ويتعرض للقتل إلى غير ذلك من محذورات تنزه عنها القرآن الكريم الذي جعل من الله سبحانه موجودا ليس له شبيه ولا نظير ولا يدرك ولا يرى ولا يحس ولا يلد ولا يولد وليس له زوجة ولا ولد تعالى الله سبحانه عما يقول أهل الباطل علوا كبيرا.

أما نظرة القرآن لنبي الله عيسى بن مريم فيجملها بقوله ((مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)) . وفي قوله تعالى: ((يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ)) إشارة إلى أنهما موجودان محتاجان إلى طعام، والمحتاج إلى طعام يهضمه ويدفع فضلاته، لا يمكن أن يكون معبودا.

أما التثليث فقد عدّه القرآن الكريم كفرا وحذر النصارى من هذا الاعتقاد ((لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).

١: القرآن الكريم.

٢: قواعد المرام في علم الكلام لابن ميثم البحراني ص ١٢٨ ـ ١٣٢.

٣: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٩ ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

٤: منهاج الصالحين للشيخ وحيد الخراساني ج ١ ص ٦٨ ـ ٧٧.

القاضي الشيخ سعد الدين بن البراج

التعريف بشخصه

هو الشيخ سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن براج الطرابلسي، المعروف بالقاضي تارة وبابن البراج أخرى، صاحب كتاب «المهذب» في الفقه وغيره من الآثار الفقهية فهو ـ قدس سره ـ اقتفى خطوات شيخ الطائفة من حيث التبويب والتفريع، ويعد الكتاب من الموسوعات الفقهية البديعة في عصره.

تاريخ ميلاده

لم نقف على مصدر يعين تاريخ ميلاد المترجم له على وجه دقيق، غير أن كلمة الرجاليين والمترجمين له اتفقت على أنه عام ٤٨١ هـ وقد نيف على الثمانين، فعلى هذا فإن أغلب الظن أنه ـ رحمه الله ـ ولد عام ٤٠٠ هـ أو قبل هذا التاريخ بقليل.

أقوال العلماء في مدحه والتعريف به

يقول الشيخ منتجب الدين في (الفهرس) متحدثا عن شخصية ابن البراج: (القاضي سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير ابن عبد العزيز بن البراج، وجه الأصحاب، وفقيههم، وكان قاضيا بطرابلس، وله مصنفات منها: «المهذب» و «المعتمد» و «الروضة» و «المقرب» و «عماد المحتاج في مناسك الحاج» أخبرنا بها الوالد، عن والده، عنه).

ويقول ابن شهر آشوب في (معالم العلماء): (أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير ابن عبد العزيز، المعروف بابن البراج، من غلمان المرتضى رضي الله عنه، له كتب في الأصول والفروع، فمن الفروع: الجواهر، المعالم، المنهاج، الكامل، روضة النفس في أحكام العبادات الخمس، المقرب، المهذب، التعريف، شرح جمل العلم والعمل للمرتضى رحمه الله).

وقال الشهيد في بعض مجاميعه في بيان تلامذة السيد المرتضى: (ومنهم أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البراج، وكان قاضي طرابلس، ولاه القاضي جلال الملك رحمه الله وكان أستاذ أبي الفتح الصيداوي، من أصحابنا).

وقال ابن فهد في اصطلاحات المهذب: (تولى قضاء طرابلس عشرين سنة).

وقال الشيخ علي الكركي في حق ابن البراج: (الشيخ السعيد، خليفة الشيخ الإمام أبي جعفر محمد ابن الحسن الطوسي بالبلاد الشامية، عز الدين عبد العزيز بن نحرير بن البراج قدس سره).

وقال الأفندي التبريزي في الرياض: (وقد وجدت منقولا عن خط الشيخ البهائي، عن خط الشهيد أنه تولى ابن البراج قضاء طرابلس عشرين سنة أو ثلاثين سنة، وكان للشيخ أبي جعفر الطوسي أيام قراءته على السيد المرتضى كل شهر اثنا عشر دينارا ـ كراتب شهري ـ ولابن البراج كل شهر ثمانية دنانير، وكان السيد المرتضى يجري على تلامذته جميعا).

ونقل عن بعض الفضلاء أن ابن البراج قرأ على السيد المرتضى في شهور سنة تسع وعشرين وأربع مائة إلى أن مات المرتضى، وأكمل قراءته على الشيخ الطوسي، وعاد إلى طرابلس في سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة، وأقام بها إلى أن مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقد نيف على الثمانين.

وقال الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل: (وجه الأصحاب وفقيههم، وكان قاضيا بطرابلس، وله مصنفات، ثم ذكر نفس ما ذكره منتجب الدين في فهرسه، وابن شهرآشوب في معالمه، والتفريشي في رجاله).

وقال المجلسي في أول البحار: (وكتاب المهذب وكتاب الكامل وكتاب جواهر الفقه للشيخ، الحسن المنهاج، عبد العزيز بن البراج، وكتب الشيخ الجليل ابن البراج كمؤلفها في غاية الاعتبار).

وقال التستري في مقابيس الأنوار: (الفاضل الكامل، المحقق المدقق، الحائز للمفاخر والمكارم ومحاسن المراسم: الشيخ

سعد الدين وعز المؤمنين، أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج الطرابلسي الشامي نور الله مرقده السامي، وهو من غلمان المرتضى، وكان خصيصا بالشيخ وتلمذ عليه وصار خليفته في البلاد الشامية، وروى عنه وعن الحلبي، وربما استظهر تلمذته على الكراجكي وروايته عنه أيضا وصنف الشيخ له – بعد سؤاله – جملة من كتبه معبرا عنه في أوائلها بالشيخ الفاضل، وهو المقصود به والمعهود).

وقال المتتبع النوري: (الفقيه العالم الجليل، القاضي في طرابلس الشام في مدة عشرين سنة، تلميذ علم الهدى وشيخ الطائفة..وهو المراد بالقاضي على الإطلاق في لسان الفقهاء...توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة ٤٨١ هـ وكان مولده ومنشأه بمصر).

وقال السيد حسن الصدر عنه: (القاضي ابن البراج، هو الشيخ أبو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز ابن البراج، وجه الأصحاب وفقيههم إمام في الفقه، واسع العلم، كثير التصنيف، كان من خواص تلامذة السيد المرتضى حضر عالي مجلس السيد في شهور سنة ٤٢٩ إلى أن توفي السيد ثم لازم شيخ الطائفة أبا جعفر الطوسي حتى صار خليفة الشيخ وواحد أهل الفقه، فولاه جلال الملك قضاء طرابلس سنة ٤٣٨، وأقام بها إلى أن مات ليلة الجمعة لتسع خلون من شعبان سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وقد نيف على الثمانين، وكان مولده بمصر وبها منشأه).

أساتذته الذين اخذ العلم منهم

لا شك أن ابن البراج رحمه الله أخذ أكثر علومه عن أستاذه السيد المرتضى رحمه الله وتخرج على يديه، والى ذلك أشار السيد بحر العلوم في (الفوائد ج ٣ ص ١٣٩): (وقد تتلمذ على السيد المرتضى وأخذ عنه العلم والفقه الجم الغفير من فضلاء أصحابنا وأعيان فقهائنا منهم.. والقاضي السعيد عبد العزيز بن البراج».

وقد ذكر التستري صاحب المقابيس أن القاضي ابن البراج قد تتلمذ على يد الشيخ أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، أحد تلاميذ المفيد ثم السيد، ومؤلف كتاب «كنز الفوائد» وغيره من المؤلفات البالغة ثلاثين تأليفا.

ومن أساتذته أبو الصلاح الحلبي على ما قاله صاحب رياض العلماء: (أبو الصلاح الحلبي هو الشيخ تقي الدين بن نجم بن عبد الله الحلبي تلميذ الشريف المرتضى والشيخ الطوسي وأستاذ القاضي ابن البراج).

فضلاً عن آخرين يطول ذكر أسمائهم.

ذكر لبعض طلابه ومن تتلمذ على يديه

كان القاضي ابن البراج رضوان الله تعالى عليه يجاهد على صعيد القضاء بينما هو يؤلف في موضوعات فقهية وكلامية، وفي نفس الوقت كان مفيدا ومدرسا، فقد تخرج على يديه عدة من الأعلام نشير إلى بعضهم:

١: الحسن بن عبد العزيز بن المحسن الجبهاني المعدل بالقاهرة فقيه، ثقة، قرأ على الشيخ أبي جعفر الطوسي، والشيخ ابن البراج رحمهم الله جميعا.

٢: الداعي بن زيد بن علي بن الحسين ابن الحسن الأفطسي الحسيني الآوي الذي عمر عمرا طويلا كما ذكره صاحب المعالم في إجازته الكبيرة، وهو يروي عن المرتضى، والطوسي، وسلار، وابن البراج، والتقي الحلبي جميع كتبهم وتصانيفهم وجميع ما رووه وأجيز لهم روايته.

٣: الشيخ الإمام شمس الإسلام الحسن ابن الحسين بن بابويه القمي، نزيل الري المدعو حسكا، جد الشيخ منتجب الدين الذي يقول نجله في حقه: فقيه، ثقة، قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر قدس الله روحه جميع تصانيفه بالغري على ساكنه السلام وقرأ على الشيخين: سلار بن عبد العزيز، وابن البراج جميع تصانيفهما.

٤: الشيخ المفيد أبو محمد عبد الرحمان بن أحمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي.

٥: الشيخ المفيد عبد الجبار بن عبد الله ابن علي المقري الرازي، وقد توفي بطرابلس، ودفن في حجرة القاضي، كما حكي عن خط جد صاحب المدارك، عن خط الشهيد وكان حيا إلى عام ٥٠٣.

هؤلاء من مشاهير تلاميذ القاضي وليست تنحصر عدتهم فيمن عددناهم.

إحياء أمير المؤمنين عليه السلام لسام ولد النبي نوح عليه السلام

ابن شهرآشوب في المناقب: من كتاب العلوي البصري أن جماعة من اليمن أتوا إلى النبي – صلى الله عليه وآله – فقالوا: نحن بقايا الملك المقدم من آل نوح، وكان لنبينا وصي اسمه سام، وأخبر في كتابه أنه لكل نبي معجزا، وله وصي يقوم مقامه، فمن وصيك؟ فأشار(صلى الله عليه وآله) بيده نحو علي (عليه السلام)، فقالوا: يا محمد إن سألناه أن يرينا سام بن نوح فيفعل؟ فقال(صلى الله عليه وآله): نعم بإذن الله، وقال: يا علي قم معهم إلى داخل المسجد واضرب برجلك الأرض عند المحراب. فذهب علي(عليه السلام) وبأيديهم صحف إلى أن دخل إلى محراب رسول الله(صلى الله عليه وآله) داخل المسجد فصلى ركعتين، ثم قام وضرب برجله على الأرض، فانشقت الأرض وظهر لحد وتابوت، فقام من التابوت شيخ يتلألأ نور وجهه مثل القمر ليلة البدر، وينفض التراب من رأسه، وله لحية إلى سرته، وصلى على علي، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله سيد المرسلين، وانك علي وصي محمد سيد الوصيين، أنا سام بن نوح فنشروا أولئك صحفهم فوجدوه كما وصفوه في الصحف. ثم قالوا: نريد أن يقرأ من صحفه سورة، فأخذ في قراءته حتى تمم السورة، ثم سلم على علي ونام كما كان، فانضمت الأرض، وقالوا بأسرهم: {إن الدين عند الله الإسلام }وآمنوا وأنزل الله.

((أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠))[1].

Ǵūq ǴqÊgp YpŧY ǰƛ ǯǨǮǿǪ5 ǔq ǴǅƎ॥

روى صاحب منهج التحقيق إلى سواء الطريق سلمان (رضي الله عنه) قال: كنا جلوسا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) بمنزله لما بويع عمر بن الخطاب قال: كنت أنا والحسن والحسين(عليهما السلام) ومحمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي (رضي الله عنهم) قال له ابنه الحسن: يا أمير المؤمنين إن سليمان(عليه السلام) سأل ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ذلك، فهل ملكت مما ملك سليمان ابن داود؟ فقال(عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل الملك فأعطاه، وإن أباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله قبله، ولا يملكه أحد بعده. فقال الحسن(عليه السلام): نريد ترينا مما فضلك الله به من الكرامة. فقال (عليه السلام): أفعل إن شاء الله تعالى. فقام أمير المؤمنين علي – علي السلام – فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله – عز وجل – بدعوات لم يفهمها أحد، ثم أومأ إلى جهة المغرب فما كان بأسرع من أن جاءت سحابة أخرى. فقال أمير المؤمنين – عليه السلام –: أيتها السحابة اهبطي بإذن الله تعالى، فهبطت وهي تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأنك خليفته ووصيه، من شك فيك فقد هلك سبيل النجاة. قال: ثم انبسطت السحابة إلى الأرض حتى كأنها بساط موضوع، فقال أمير المؤمنين – عليه السلام: اجلسوا على الغمامة، فجلسنا وأخذنا مواضعنا، فأشار إلى السحابة الأخرى فهبطت وهي تقول كمقالة الأولى، وجلس أمير المؤمنين عليها، ثم تكلم بكلام وأشار إليها بالمسير نحو المغرب، وإذا بالريح قد دخلت السحابتين فرفعتهما رفعا رفيقا، فتمايلت نحو أمير المؤمنين – عليه السلام – وإذا به على كرسي والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف بالإبصار. فقال الحسن: يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود كان مطاعا بخاتمه، وأمير المؤمنين بماذا يطاع؟ فقال – عليه السلام – أنا عين الله الناظرة في أرضه، أنا لسانه الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفى، أنا باب الله الذي يؤتى منه، وحجته على عباده. ثم قال: أتحبون أن أريكم خاتم سليمان بن داود – عليه السلام –؟ قلنا: نعم، فأدخل يده إلى جيبه فأخرج خاتما من ذهب، فصه من ياقوتة حمراء، عليه مكتوب: محمد وعلي. قال سلمان: فتعجبنا من ذلك، فقال: من أي شيء تعجبون؟ وما العجب من مثلي، أنا أريكم اليوم ما لم تروه أبدا – وساق الحديث إلى أن قال – فقال – عليه السلام –: تريدون أن أريكم سليمان بن داود؟ فقلنا: نعم، فقام ونحن معه، فدخل بنا بستانا ما رأينا أحسن منه وفيه من جميع الفواكه والأعناب وأنهاره تجري، والأطيار يتجاوبن على الأشجار، فحين رأته الأطيار أتته ترفرف حوله حتى توسطنا البستان، وإذا سرير عليه شاب ملقى على ظهره، واضع يده على صدره، فأخرج أمير المؤمنين – عليه السلام – الخاتم من جيبه وجعله في أصبع سليمان – عليه السلام – فنهض قائما، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ووصي رب العالمين، أنت والله الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، قد أفلح من تمسك بك، وقد خاب وخسر من تخلف عنك، وإني سألت الله بكم أهل البيت فأعطيت ذلك الملك. قال سلمان: فلما سمعنا كلام سليمان بن داود – عليه السلام – لم أتمالك نفسي حتى وقعت على أقدام أمير المؤمنين – عليه السلام – اقبلها، وحمدت الله تعالى على جزيل عطائه بهدايته إلى ولاية أهل البيت – عليهم السلام – الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وفعل أصحابي كما فعلت.

---

(١) سورة الشورى، الآية:٨

من كان همه الأخرة

كلمة تربوية

أثناء سفره إلى حجّ بيت الله الحرام، مرّ العالم العارف الملاّ محسن فيض الكاشاني بمدينة اصفهان، فورد على العالم الكبير السيد حسين الخونساري رحمه الله، وكان في المجلس ابنه السيد جمال الدين، فطرح الملاّ محسن سؤالاً على الابن فلم يجب على السؤال جواباً كاملاً.

فضرب الملاّ محسن يداً على يد وقال: (وا أسفاه، إنّ باب منزل السيد حسين مغلق) ـ كناية عن إنّ هذا الولد الذي لا يدرس ليتعلم، ليس مكانه في منزل أبيه العالم ـ.

فتأثر الولد بهذا الموقف التربوي الصارم، فقرر أن يدرس بجدّ واجتهاد، فاعتكف للعلم ليلاً ونهاراً.

وبعد عام واحد...، ورد الملاّ محسن على السيد حسين أيضاً في طريق عودته من الحج، فأعاد الملاّ سؤاله للولد (السيد جمال) فوجده صاحب علم ومعرفة.

فقال: إنّ السيد جمال هذا، ليس ذاك السيد جمال الذي رأيته العام الماضي! نعم، الكلمة الصارمة المنطلقة من القلب المحبّ، قد دفعته إلى العلم والمثابرة.

يقال إن هذا الشاب في ليلة من الليالي وبينما كان منهمكاً في المطالعة وضعوا عنده العشاء ولم ينتبه، وفجأة سمع صوت المؤذن لصلاة الصبح، فرفع رأسه عن الكتاب فرأى العشاء بجانبه، فقال: لماذا جئتم بالعشاء في هذا الوقت المتأخر؟!

قالوا: إنه كان من أول الليل بجانبك وأنت لم تنتبه له أيّها الولد العزيز.

هذا وكانت وفاة الملاّ محسن فيض الكاشاني رحمه الله سنة ١٠٩١ للهجرة، بينما توفي زميله السيد حسين الخونساري سنة ١٠٩٨هـ.

وأما وفاة السيد جمال الدين (الولد) فكانت سنة ١١٢٥ من الهجرة ليلة القدر.. وذلك أحد أسرار سعادته.

علم وطهارة وموقف

كان الميرزا حبيب الله الرشتي ـ المتوفى سنة ١٣١٢ هـ ـ من أجلاّء تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري، اشتهر لدى العرب والعجم بتبحّره في علمي الفقه والأصول.

نقل بعض تلامذته إنه لما كان يتوجه إلى التدريس في صحن الإمام علي عليه السلام كان يتوضأ أولاً، ثم يمشي وهو يتلو سورة (يس) المباركة حتى يصل عند باب قبلة الصحن، حيث قبر أستاذه الشيخ الأنصاري، فيتوقف حتى يختم السورة هناك ثواباً لروح أستاذه الجليل، ثم يطلب من الله تعالى مُقْسِماً بروح هذا الرجل العظيم أن يعينه في إفادة مئات الطلبة والفضلاء والعلماء وبيان الحقائق العلمية لهم بشكل واضح وأفضل.

وكان يقول عن أستاذه: إنه جمع بين العلم والسياسة والزهد، فالسياسة أورثها لتلميذه الحاج ميرزا حسن الشيرازي، والعلم أورثه لي، والزهد أخذه معه إلى القبر!

وكان الميرزا حبيب الله الرشتي لا يفتي ولا يقبل الحقوق الشرعية (من الخمس والزكاة وغيرها)، وكان دائم الطهارة والوضوء، ولما حضره الموت وكان باتجاه القبلة امتنع أن يمدّ رجليّه جهة القبلة فمدّها بعض الحاضرين ولكنه ثناهما ولم يتفوّه بكلمة، وكلما أعادوا مدّ رجليّه أعاد ثنيهما، فسألوه لماذا تفعل ذلك؟

قال بضعف شديد: لأنّي في هذه الحالة لست على وضوء، لذلك فلا أحب أن أمدّ رجليّ إلى القبلة.

-الكذب عند الأطفال-
كذب الطفل هل يثير قلق الأسرة؟

إن الأمانة في ذكر الحقيقة كالأمانة بشأن ممتلكات الآخرين، يكتسبها الطفل من البيئة التي يعيش فيها، ويتفاعل معها نتيجة لما يحتاج له من فرص ومواقف يتدرب فيها على تمييز الوقائع، والتعرف إلى الحقائق. وأهمية الصدق فيما يفعل ويقول.

فقد يتهم الطفل أخاه بكسر إناء الزهور ويكون هو الفاعل.. وقد نسأله عن موضوع ما فلا يقول الحقيقة .. وأحياناً قد يكذب كذباً لا يضر ولا ينفع، وأحياناً أخرى يحمل كذبه ضرراً له وللآخرين.

أسباب الكذب عند الطفل

والحقيقة هنالك أسباب متعددة للكذب.. فقد يكذب الطفل لكي يعوض عن نقص حقيقي أو خيالي في نفسه، وقد يكذب لوقاية نفسه من الضرر، أو للهروب من النتائج الحتمية والمؤلمة لعمل قام به. أو لتجنب نقد يوجه إليه من عالم الكبار تجاه سلوك قد سلكه. إن كثيراً من أكاذيب الأطفال سببها عالم الكبار فقد يكره الأب ابنه على الكذب دون أن يدري، فالطفل غير البارع في الرياضيات قد يخبر والده بأنه حصل على درجة عالية في المادة، لأنه يعلم أن والده يسر بذلك، وقد تنعكس بعض الطموحات الاجتماعية للراشدين من خلال مبالغات الطفل وأفكاره الخيالية، فيغدو الأب الذي يعمل موظفاً صغيراً في نظر الطفل مديراً لإحدى الشركات عندما يسأل عن مهنة والده. إن كثيراً من أكاذيب الأطفال سببها نمو التخيل عندهم، وخاصة الأطفال الذين أعمارهم بين الرابعة والخامسة، وهي لا تعد أكاذيب بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإنما هي خيالات اختلطت بالواقع. إذ إن خيال الطفل في هذه المرحلة يتصف بالمبالغة والغزارة والابتكار وعدم التقيد بالواقع المحسوس، وتظهر تلك الظاهرة في ألعابه حيث يمتطي العصا كأنها حصان، أو يتخيل الكراسي المصفوفة عربات قطار تتقله مع رفاقه، وقد يروي قصة تدور حول قتله لذئب مفترس، وكيف حمل البندقية وقضى على اللصوص الذين هاجموا منزله، وبنموه يستطيع أن يدرك بأن هذه خيالات وليست حقيقة. إن الكذب هو إحدى الإستراتيجيات التي يستخدمها الطفل للحفاظ على احترامه لذاته، إلا أنه ينبذ هذه الإستراتيجية عندما يكتسب القوة والثقة بالنفس. بيد أن بعض الأطفال يستمرون في ممارسة الكذب ويصبحون في نهاية الأمر غير قادرين على التمييز بينه وبين الصدق، وقد يكون ذلك حالة خطيرة وتستدعي اهتمام الأبوين حيث يجب البحث جدياً عن سبب الكذب... فقد يكون السبب ما يفرضه الراشدون على الطفل من مهمات .. أو قواعد معقدة جداً لا يستطيع الطفل تنفيذها بنجاح إلى الكذب ... وقد يشعر الطفل بعدم الأمان والأذى في المدرسة، حيث يجد في القصص الكاذبة التي يؤلفها الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بمركزه بين الآخرين فالكذب المناسب يحدد مدى قبول الآخرين له، أو نبذهم للطفل الذي يكذب. إن الطفل الذي يحمل زاداً وافراً من الحب والحنان والتشجيع والنجاح «أي الصفات التي ينشأ عنها احترام الذات» نادراً ما يحتاج إلى الكذب. وقد يلجأ الطفل إلى نبذ معايير والديه عوضاً عن تبنيها إذا كانت علاقاته معهما مضطربة. وبهذا يكون بما يريد الوالدان كذبه شكلاً من أشكال عدم الاعتراف، وقد يجبر بعض الأطفال على الكذب بسبب رغبة والديهما في الاطلاع الدائم والمستمر على أسرارهم وتفاصيل حياتهم، وخاصة عندما يقترب هؤلاء الأطفال من مرحلة المراهقة. إنهم يرغبون في هذه الفترة بإخفاء أسرارهم عن والديهم.

الوقاية من الكذب

إن الوقاية من الكذب خير من علاجه، وهذا يتوقف على أسلوب التعامل مع الطفل فهو يمتص الصدق من المربي «الأب أو الأم»، أو من المحيطين به فالالتزام بالأقوال والأفعال شرط هام في التعامل مع الطفل، لأنه إذا نشأ على الخداع وعدم المصارحة مع الآخرين، فأكبر الظن أن مثل هذا الجو لن يعمل على تكوين اتجاه الصدق عند الطفل، لأنه سوف يدرك أن الكذب وسيلته لتحقيق أهدافه.

إن الطفل بمقدوره أن يميز بين ما هو كاذب وما هو صادق، لذلك على الكبار التزام الصدق قولاً وفعلاً ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم. لابد أن نبصر الطفل بأهمية الصدق في القول والفعل وتشجيعه عليهما باستمرار، ومعاقبته بعقوبة تناسبه في حالة الكذب عدة مرات دون الاكتراث بما نتصحه. علينا ألا نزج الطفل في مواقف يضطر فيها للكذب، وألا نبالغ في عدم تصديقه لكل عمل يقوم به، ونضايقه في كل صغيرة وكبيرة. لأن هذا الأسلوب الصارم لا يجدي كثيراً في الإقلاع عن الكذب الذي لا يجد الطفل مفراً من اللجوء إليه كمحاولة للظهور بالمظهر الذي نريده. إن التربية الواعية تبحث عن الأسباب التي تدفع الطفل للكذب، وتتفهم أوضاع الطفل الحياتية. وإذا استمر الطفل بكذبه دون مسوغ، وازدادت حدته مع النمو يوماً بعد يوم ... لا بد من استشارة الاختصاصي النفسي من أجل المساعدة.

-السرقة عند الطفل-
الطفل وملكيته الخاصة

قد يهمل بعض الآباء أهمية العمل على تكوين اتجاه إيجابي قوي نحو الأمانة عند أطفالهم، إذ من الملاحظ أن بعضهم لا يهتم ببعض العادات والميول التي تظهر عند اطفالهم. وهذا من شأنه أن يمهد الطريق إلى تكوين اتجاه سلبي نحو الأمانة لدى الأطفال. والطفل الذي لم يدرب في محيط الأسرة على التفريق بين خصوصياته وخصوصيات غيره، وعلى معرفة ماله من حقوق وما عليه من

واجبات فإنه من الصعب عليه في المستقبل أن يميز بين ما يحق له وما لا يحق له أن يمتلكه، ويكون أكثر ميلاً إلى الاعتداء على حقوق الآخرين.

فقد يرغب الطفل أن يمتلك كثيراً من الأشياء، ويدعي ملكيتها حتى لو لم تكن له اصلاً، إلا أنه مع تطور نموه يدرك أن هناك بعض الأشياء محرمة عليه، لأنها تخص الآخرين، وقد يتناول لعبة طفل آخر، لأن مفهوم الملكية ومفهوم السرقة غامضان بالنسبة له، وينزعج دائماً لأن الآخرين يشاركونه في أشيائه.

إن الطفل سريع التعلم إذ يتعلم في سن مبكرة، أنه من الخطأ تناول ممتلكات الآخرين واستعمالها دون علمهم وموافقتهم، وإن هذا النوع من التعلم ضروري جداً، إذ إن من واجب الطفل أن يتوقف عن ممارسة تناول ما يخص الآخرين. وأن يكف عن هذه الطريقة السهلة في الحصول على ما يريد. ويتعلم الطفل أن السرقة عمل خاطئ إذا وصف الآباء والأمهات هذا العمل بالخطأ، وعاقبوا أطفالهم في حال الاستمرار في ممارسته.

دوافع السرقة عند الطفل

قد يستمر الطفل في سرقة الأشياء حتى سن متأخرة من طفولته، فعلينا عندئذ أن نبحث عن الدوافع التي تكمن خلف ذلك. فقد يلجأ الطفل إلى سرقة شيء محروم منه، وليس بإمكانه أو بإمكان أهله الحصول عليه، أو يعرف أنه شيء محرم لايمكن الحصول عليه إلا بالسرقة. فالدافع في مثل هذه الحالات هو محاولة إشباع بعض حاجاته. وقد يكون الدافع إلى السرقة هو الرغبة في الانتقام من الآخرين. فلقد جاء على لسان أحد الأطفال على سبيل المثال «لا أحد يحبني ولست أدري ما السبب؟ إن زملائي كثيراً ما يعتدون علي بالضرب، ويهزؤون مني وأنا لم أسرق إلا من الذين يغيظونني وممن يكرهونني.

وقد تكون الغيرة سبباً مباشراً للسرقة، فقد يلجأ بعض الأطفال إلى محاولة سرقة بعض الأشياء التي يقتنيها غيرهم ولا يستطيعون هم الحصول عليها.

وقد يكون الدافع إلى السرقة الرغبة في تأكيد الذات وسط جماعة الزملاء. فالسرقة عند مثل هؤلاء الأطفال وسيلة يشعرون من خلالها بالقوة والسيطرة. إن الدوافع للسرقة عديدة ومتنوعة فمشاعر الدونية قد تدفع بعض الأطفال إلى السرقة، فالطفل الذي يشعر أنه دون زملائه من حيث المكانة الاجتماعية أو العلمية قد يلجأ إلى التعويض عن ذلك بالظهور بمظهر الشخص الكريم، ويعمل على كسب شهرة وسط زملائه بإعطائه بعض الحلوى واللعب، وسد النفقات اللازمة لنشاطهم، ويلجأ إلى السرقة في سبيل الحصول على ذلك.

كما أن انخفاض مستوى الذكاء لدى الأطفال يعد من العوامل التي تدفعهم إلى السرقة، لأن هؤلاء الأطفال يكونون قد عجزوا عن النجاح في النواحي التي تتفق وأوضاع المجتمع.

دور التربية في تعلم الطفل الأمانة

إن التربية السليمة تعلم الطفل منذ نعومة أظفاره بأن الاعتداء على أملاك الآخرين من الصفات اللا اجتماعية، والتي يرفضها القانون، وتتنافى مع الأخلاق، وإن هذا الاعتداء سوف يسمونه الناس سرقة. وبالوقت نفسه على الأسرة ألا تسوغ سرقة الطفل لشيء ما على أنه ما زال طفلاً، وأن ما أخذه هو من الأسرة لا من أحد آخر غريب عن الأسرة. لأن ما يتعلمه الطفل داخل الأسرة سوف ينتقل أثره إلى المجتمع.

فالأسرة الواعية تبصر طفلها من خلال تنشئته الاجتماعية بقواعد الأخلاق والتقاليد الاجتماعية الواجب مراعاتها ،وليس أجدى من تحقيق هذا من احترام الأسرة لحقوق الطفل وما يملكه من أشياء خاصة، ومن تخويله حق التصرف المشروع بها. فالتربية بالقدوة الحسنة من أفضل أنواع التربية، واحترام الأسرة لحقوق الطفل تنمي لديه اتجاه الأمانة منذ الصغر، أمّا اللامبالاة الأسرية بحقوق الآخرين فإنها تنتقل للطفل بسهولة ويسر.

على أية حال لو حدث وسرق الطفل شيئاً ما فلا مسوغ للخوف الشديد واللجوء للأساليب العنيفة معه، أو إيقاع العقاب الشديد به كالضرب مثلاً. وفي الوقت ذاته لا ننفي التهمة عنه نفياً تاماً. لأن كلا الأسلوبين لا يساعدان على تكوين اتجاه الأمانة بطريقة سليمة.

نبدأ بأن نفسر له بأن ما قام به سلوك خاطئ ويسمى سرقة، والسرقة تتنافى مع الأخلاق الفاضلة. فقد يتصرف الطفل هذا التصرف دون معرفته أن هذا العمل خاطىء. إن العقاب القاسي غير فعال في معالجة السرقة عند الأطفال، ومعالجة السرقة تحتاج إلى صبر وهدوء وحكمة ومتابعة.. علينا ألا نلقبه بلقب لص، بل أن نشرح له الثوابت والقوانين الأخلاقية التي تصون الملكية، والتي تعد من ضرورات التعايش الاجتماعي. والمسؤول الأول والأخير عن موضوع السرقة الأسرة بما تحمله من قيم ومعايير وسلوك وتصرفات وود وحب.

والوقاية خير من العلاج والبناء في التربية أسهل من الهدم.

الأشعة السينية
The X-Ray

سنة الاكتشاف ١٨٩٥م
ما هذا الاكتشاف؟
إشعاع عالي الطاقة يمكنه اختراق جسم الإنسان.

من المكتشف؟
فلهيلم رينتغن (Wilhelm Roentgen)
لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

لو كنت احتجت يوماً إلى أخذ أشعة تصويرية سينية خلال فحص طبي، فإنك تدين بالشكر والامتنان لفلهيلم رينتغن، تعد الأشعة السينية الطبية واحدة من أقوى الأدوات التشخيصية التي اكتشفت لحد الآن وأكثرها إفادة وإنقاذاً لحياة البشر، كما وتعتبر الأشعة السينية أول تقنية غير نفّاذة للجسم يستعملها الأطباء لرؤية باطن جسم الإنسان، والتي مهّدت الطريق فيما بعد للتقنيات الأكثر حداثة كالرنين المغناطيسي والتصوير المقطعي للجسم.

استفاد الكيميائيون من الأشعة السينية في فهم وفك رموز تراكيب الجزيئات المعقدة (كالبنسلين مثلاً) ولفهم أكثر للطيف الكهرومغناطيسي، منح هذا الاكتشاف للأشعة السينية صاحبه رينتغن جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٠١م عن جدارة.

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

في عام ١٨٩٥م كان فلهيلم رينتغن، البالغ أربعين وكذا عاماً من العمر، مجرد أستاذ أكاديمي بجامعة فورتسبورك الألمانية يؤدي تجربة مملة حول تأثيرات إمرار الكهرباء خلال قنانٍ مملوءة بالغاز، وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من ذلك العام، بدأ بتجارب مختبرية بالطابق السفلي من داره مستعملاً أنبوبة كروك (عبارة عن جهاز لتكبير الإشارة الكهربائية من خلال إمراره في الفراغ الموجود ضمنه).

حدث في الثامن من ذاك الشهر أن لاحظ رينتغن بأن صفيحة فوتوغرافية كانت ملفوفة بورق أسود ومطوية داخل علبة جلدية بالخزانة السفلية لمنضدته قد تم استهلاكها بشكل مريب وخُتمت بصورة مفتا ح، المفتاح الوحيد في الغرفة كان المفتاح الكبير لباب الحديقة ـ تذكر أنه رمى به في الخزانة الوسطى للمنضدة قبل عام مضى، لقد كانت الصورة المطبوعة الصفيحة الفوتوغرافية تعود لذلك المفتاح بالذات.

والأغرب من ذلك، أنه وجد بأن المفتاح الموجود بالخزانة الوسطى يقع على امتداد خط مستقيم من أنبوبة كروك الزجاجية المسنودة على الحائط إلى الصحيفة الفوتوغرافية في الخزانة السفلى، ولكن لا تنبعث أية أشعة مرئية من أنبوبة كروك ومن المؤكد أن لا ضوء يمكنه النفاذ من خلال المنضدة والعلبة الجلدية ليصل إلى الصفيحة الفوتوغرافية، ما هذا الشيء المريب الذي انطلق عبر الغرفة ومر خلال الخشب والجلد والورق ليستهلك الصفيحة الفوتوغرافية؟ مهما كان ذلك الشيء، فإنه لم يستطع اختراق المفتاح المعدني ـ مما يفسر تشكيل صورة رمادية داكنة للمفتاح على صفيحته الفوتوغرافية.

افترض علماء آخرون وجود أشعة تنبعث من أنبوبة كروك أطلقوا عليها أشعة الكاثود نسبة إلى اسم إحدى الصفائح المعدنية داخل الأنبوبة، اعتقد كروك ذاته أن هذه الأشعة ربما أتت من عالم آخر، ولكن لم يتكلف أحد بتقصي وقياس ودراسة هذه الأشعة المجهولة.

توقع رينتغن أن فيلمه قد تعرض بطريقة ما إلى أشعة الكاثود، بعدها بأسبوعين، تمكن من إثبات وجود هذه الأشعة المريبة، والتي اسماها (X-rays) أو (أشعة أكس أو الأشعة السينية) ـ حيث يرمز الحرف (X) أو (س) إلى المجهول، فقد تمكّن رينتغن الآن من اكتشاف أن الأشعة السينية تخترق الخشب والورق والكرتون والاسمنت والقماش بل وحتى معظم المعادن ـ عدا الرصاص.

بغرض إجراء تجربته، قام رينتغن بطلي قطعة من الورق بمادة بلاتينوسيانيد الباريوم (نوع من الأملاح البرّاقة) وعلّقها على الجدار البعيد لمختبره، فعندما أوصل الطاقة بأنبوبة كروك، لاحظ توهج الورقة البرّاقة بلون أخضر خافت، ولما رفع منضدة جديدة أمام الورق، اسودّت الورقة في مكان اعتراض المنضدة الجديدة للأشعة.

أنصدم رينتغن كذلك لدى رؤيته لخرائط جميع عظام يده وذراعه على الورقة البرّاقة، وعندما حرّك أصبعه، تحرّكت صور العظام أيضا.

لدى رؤيتها لهذه الصور الإشعاعية الأولية، صرخت زوجة رينتغن خوفاً وهلعاً ـ فقد ظنت المسكينة أن هذه الأشعة كانت طلائع شر تنذر بالموت، على أية حال، بدأ رينتغن ستة أسابيع من الدراسة المكثّفة قبل إطلاق نتائجه حول طبيعة وإمكانية الأشعة السينية.

في غضون شهر واحد من الزمان، أصبحت أشعة رينتغن السينية حديث العالم أجمع، فأطلق عليها المشككون (أشعة الموت) التي ستحطم الجنس البشري، أمّا الحالمون الملهوفون فقد أسموها (الأشعة المعجزة) التي ستعيد البصر إلى العميان وستبث الجداول والمسائل المعقدة مباشرة إلى ذهن الطالب.

أما الأطباء فقد سموا الأشعة السينية (الدعوة المستجابة).

حقائق طريفة

بإمكان مكينة زاي (Z Machine) الموجودة في مختبرات ساندنيا الوطنية بنيو مكسيكو أن تصدر الأشعة السينية بقدرة إنتاجية تعادل حوالي ٨٠ ضعفاً للقدرة الإنتاجية الصادرة عن المولدات الكهربائية في العالم أجمع وخلال فترة وجيزة للغاية.

الكترون

The Electron

سنة الاكتشاف ١٨٩٧م

لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

لم تكن الذرات قد شوهدت قط، معرّفة على أنها أصغر جسيمات (دقائق) ممكنة من المادة واللبنة الأساسية للمواد جميعها، فإنها من الصغر بحيث لا تدركها العين البشرية. فكانت في أواخر القرن التاسع عشر أكثر نظرية منها واقعية، كيف لشخص إذن أن يدعي بأنه وجد شيئا ما (أصغر حجما)؟ بل كيف يمكن للجسيمات أن تصبح أصغر حجما؟

اكتشف ثومسون الإلكترون وأثبت وجوده. دون أن يتمكن من رؤية أو فصل أي واحد قط، كانت الإلكترونات أولى الجسيمات الدون ذرية اكتشافاً، أو بتعبير آخر أول دقيقة من المادة يتم التعرف عليها بحجم صغر حجم الذرة، كما وفر هذا الاكتشاف أخيرا بعضا من الدليل الفيزيائي والوصف عن الوحدة الأساسية لحمل الكهرباء، لقد افتتح تجارب ثومسون واكتشافه حقلا جديدا من العلوم. فيزياء الجسيمات (الدقائق).

كيف جاء هذا الاكتشاف؟

كان قد ولد باسم جوزيف جون ثومسون (Joseph John Thomson) في كانون الأول ديسمبر من عام ١٨٥٦م بمدينة مانشستر الإنجليزية، بعمر الحادية عشرة، أسقط اسميه الأولين مكتفيا بالحرفين الابتدائيين لهما، فبدأ جي. جي. ثومسون بتلقي دروس في الهندسة بكلية أوينز وهو ابن أربعة عشر ربيعا، مما ساعده بعد ذلك في نصب خلفية رياضية وهندسية لدراسة الفيزياء. حظي عام ١٨٨٤م بمنصب رئيس مختبر كافينديش الفيزيائي المعروف في كامبردج، والذي شهد إجراء ثومسون لتجاربه التي قادت إلى اكتشاف الإلكترون بعد ذلك بثلاثة عشر عاماً.

كانت أشعة الكاثود قد اكتشفت من قبل الألماني يوليوس بلوكر (Julius Plucker) عام ١٨٥٦م. على أية حال، لم يقتنع العلماء بماهية أشعة الكاثود هذه، فقد تمخض عن هذا الاكتشاف جدل واسع: هل أن أشعة الكاثود موجات أم دقائق (جسيمات)؟ وانشغلت خيرة عقول العالم بهذه المسألة المحيّرة.

في عام ١٨٩٦م، قرر ثومسون أن يقوم بتجارب من شأنها فضّ هذا النزاع المستديم، فصمّم أنبوبة لأشعة الكاثود وأطلق هذه الأشعة المريبة على صفيحة معدنية، فاكتسبت الصفيحة شحنة سالبة. مما يثبت بأن أشعة الكاثود تحمل شحنة سالبة أيضا، بعدها، استعان ثومسون بمسطرة مطلية بمادة برّاقة ليثبت قدرة حقل مغناطيسي على حرف أشعة الكاثود (وكان آخرون قد أجروا هذه التجربة أيضا).

ربط ثومسون صفائح معدنية رقيقة موجودة داخل أنبوبته ببطارية، فأظهر بأن للحقل الكهربائي القابلية أيضاً على حرف أشعة الكاثود عن مسارها (مستدلاً بانزياح النقطة المضيئة على المسطرة عند ربطه للبطارية).

وأخيرا، صمّم ثومسون أنبوبة أشعة كاثود جديدة مع وجود شق ضيق في صفيحة معدنية. توجه من خلاله أشعة الكاثود، ووضع مجالا مغناطيسيا خلف هذه الصفيحة المعدنية بغرض حرف مسار أشعة الكاثود باتجاه واحد، يعقبه مجال آخر كهربائي مهمته حرف مسار هذه الأشعة ثانية بالاتجاه المعاكس.

أدرك ثومسون القوة التي أولدها هذان الحقلان، وبمجرد قياسه لكمية الانحراف (التغير بالاتجاه) التي أحدثتها كل قوة في مسار أشعة الكاثود، فإنه كان سيتمكن من حساب كتلة الجسيمات في هذا السيل من أشعة الكاثود، وهكذا سيحل اللغز من خلال التعرف على الجسيمات المحددة.

أجرى تجربته ولم يصدق نتائجها، فنسبة الشحنة الكهربائية لكتلة الجسيم كانت كبيرة للغاية، وهو ما يعني أن كتلة هذه الجسيمات أصغر بكثير من أي جسيم معروف آخر.

أعاد تجربته مئات المرات، بل وجزّأ جهازه وأعاد جمعه من جديد، ولكنه حصل على النتائج ذاتها، فكتلة هذا الجسيم كانت يجب أن تكون أقل من ١/ ١٠٠٠ من كتلة البروتون (ذرة هيدروجين). أي أقل بألف مرة من أصغر ذرة. فمن المفترض أن يكون أصغر جسيم ممكن.

لقد اكتشف ثومسون جسيماً جديداً. أول جسيم دون ذري. وقد تطلّب منه إجراء مئات من العروض التجريبية وبضع مقالات مفصّلة قبل أن يصدّق أحد بوجود جسيماته هذه.

في عام ١٨٩١م، أطلق الفيزيائي الإيرلندي جورج ستوني (George Stoney) اسم (الإلكترون) على الوحدة الأساس (الجسيم) للكهرباء دون أن تكون لديه أدنى فكرة عن ماهية هذا الجسيم، فقرر ثومسون استعارة اسم (elevtron) (إلكترون) هذا لجسيمه الجديد طالما أنه حمل تيارا كهربائيا، وفي عام ١٨٩٨م، وجد رجل فرنسي يدعى بيكيريل (Bequerel) الدليل الفوتوغرافي لوجود الجسيمات الدون ذرية مثبتا بذلك صحة نظرية ثومسون.

حقائق طريفة: إذا كان للإلكترون نفس وزن عملة الدايم ذات العشرة سنتات، فإن البروتون سيزن ما يساوي غالوناً من الحليب.

[illegible]

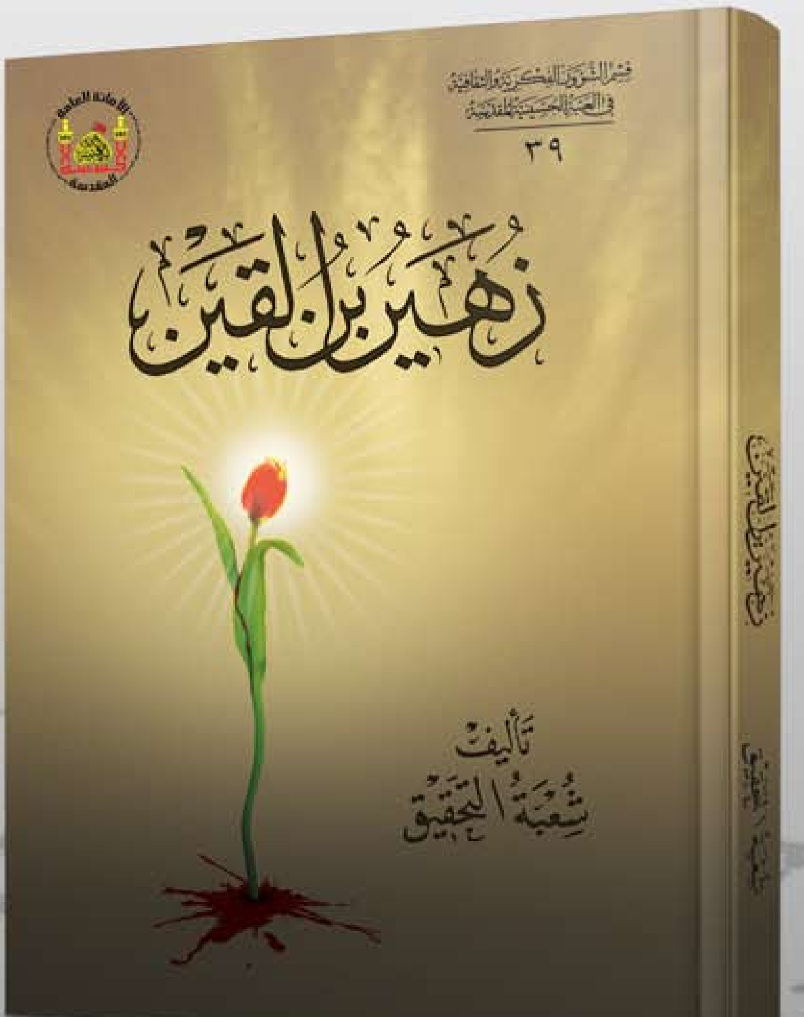
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
٣٩
زهير بن القين
تأليف
شعبة التحقيق